

السفينة - الفلك
باسم البسومي
كلية رام الله التربوية

السفينة:

قال تعالى: ((فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ)) العنكبوت: ١٥
ويقول تعالى: ((فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا))
الأعراف: ٦٤

الآيتان السابقتان تتعلقان بقصة نوح، عليه السلام، ومن اللافت أن لفظة السفينة لم ترد مع اسم نوح إلا مرة واحدة، وهي آية العنكبوت، بينما تكرر استخدام لفظة الفلك في قصة نوح ست مرات، فما توجيه استخدام هذين اللفظين؟
بالرجوع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم نجد أن مادة (سفن) قد وردت أربع مرات فقط وباشتقاق واحد وهو لفظ (السفينة) حيث جاءت لفظة السفينة مكررة ثلاث مرات في سورة الكهف، ومرة واحدة في سورة العنكبوت.

قال تعالى: ((فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبْنَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقْنَاهَا)) الكهف: ٧١

وقال تعالى: ((أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ)) الكهف: ٧٩

وقال تعالى: ((وَوَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)) الكهف: ٧٩

وقال تعالى: ((فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ)) العنكبوت: ١٥

جاء في بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي: "السفن: القشر، سفن النجار العود، ومنه السفينة لأنها تسفن الماء". وذكر أصحاب السفينة في آية العنكبوت فيها إشارة لطيفة، وهي أن الذين آمنوا مع نوح وحلوا في السفينة لبثوا فيها فترة طويلة وهي تشق المياه وتقرسها حيث أن كلمة أصحاب فيها من المصاحبة والملازمة ما يشير إلى طول فترة المكث في السفينة حتى سموا بأصحاب السفينة.

أمّا الكفار الذين قاوموا دعوة نوح، عليه السلام، فقد أخذهم الطوفان قبل ذلك، لذا نجد أن الآيتين اللتين تحدثتا عن قصة نوح، عليه السلام، في سورة العنكبوت قد أشارتا إلى غرق

الكافرين، ثم أشارت فيما بعد إلى حال أصحاب السفينة، وأن السفينة قد جعلها الله في نهاية المطاف آية للعالمين.

الفلك:

الفلك لغة هو مدار النجوم. وفلك كل شيء مستداره ومعظمه، والفلك السفينة ويبدو أن السفينة سُميت فلكاً لاستدارة شكلها، وسميت سفينة إشارة إلى وظيفتها.

((وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ)) هود: ٣٨

((أَنْ أَصْنَعُ الْفُلُوكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا)) المؤمنون: ٢٧

((فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا)) الأعراف: ٦٤

إذا تأملت الآية الأخيرة تلاحظ أن ذكر غرق الكافرين قد جاء بعد الإنجاء في الفلك، على خلاف الحال السفينة. وهذه الملاحظة مطردة في كل الآيات التي ذكر فيها الفلك مع نوح عليه السلام.

والقرآن يبين أن الذين آمنوا مع نوح قد أنجاهم الله تعالى في الفلك، فكانت الفلك هي أداة النجاة، فهم ليسوا أصحاب الفلك بعد، وإنما هم الذين نجاهم الله ونوحاً في الفلك، ثم أغرق الله تعالى الكافرين. فالحديث هنا عن بداية الحادثة بينما عند ذكر السفينة كان الحديث عن نهاية القصة.

خلاصة:

١. يذكر القرآن الكريم السفينة عند الإشارة إلى حركتها ووظيفتها.

٢. يذكر القرآن الكريم الفلك إشارة إلى حجمها وشكلها.